تحتل منطقة المغرب العربي العربي أهمية بالغة في ظل المفاهيم الإستراتجية الموسعة فهي تشكل رهانا إقتصاديا بالنسبة للدول الكبرى حيث توفر المنطقة سوقا تجارية وإقتصادية من حوالي 90مليون نسمة، وتعتبر مصدرا هاما للطاقة في المنطقة، إضافة للموقع الجيوإستراتجي والإقتصادي للمنطقة، نجد أن الجغرافية المغاربية تتميز بعدم الإستقرار خاصة مع وجود نزاع الصحراء الغربية والخلافات البينية (بين الدول المغاربية) ووجود مشاكل إقتصادية وإجتماعية أدت إلى تنامي الهجرة غير شرعية وإنتشار الجريمة المنظمة والإرهاب وتنامي عوامل اللأمن في المنطقة، هذه المعطيات الجيوإستراتجية والأمنية وإنطلاقا من القرب الجغرافي والإحتكاك البشري بحكم تواجد جالية مغاربية في أوروبا فإن هذا أثر على الأوضاع الأمنية خاصة في غرب البحر الأبيض المتوسط، مما دفع بالدول الأوروبية إلى محاولة إحتواء منطقة جنوب المتوسط من خلال مجموعة من الأطر التعاونية لتحقيق الإستقرار والأمن في المتوسط فما هي هذه الأطر التعاونية كيف نشأت وما هي العوامل المتحكمة في ديناميتها ؟

1-تطور العلاقات الأوروبية المغاربية قبل نهاية الحرب الباردة

ترجع الخطوات الأولى للتعاون بين المجموعة الأوروبية والضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط إلى نشأة الجماعة الأوروبية الإقتصادية سنة 1957، لكن منطق الإستقطاب الذي عرفة العالم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وإنحصار نفود القوى الإستعمارية في الخمسينات والستنات من القرن الماضي لم يسمح بقيام حوار سياسي واضح بين الجماعة الإقتصادية الأوروبية ودول الضفة الجنوبية، بل أقتصرت العلاقات بين الضفتين على العلاقات الإقتصادية التجارية في إطار محدود، وتلبور العلاقات الأروبية المغاربية في شكلها الموسع كان من خلال مجموعة من الأطر يمكن إجمالها فيما يلي:

أ-الحوار الأوروبي العربي 1973: يعتبر الحوار العربي الأوروبي المبادرة الديبلوماسية الوحيدة التي جرت في إطار متعدد الأطراف حيث جمعت ممثلي عن المجموعة الإقتصادية الأوروبية من جهة وممثلي عن جامعة الدول العربية من جهة أخرى في شكل حوار أرتبط بحادثين بارزين وهما حرب أكتوبر 1973 والصدمة البترولية في نفس السنة.

بدأ الحوار العربي الأوروبي نتيجة لمبادرة فرنسية في ديسمبر 1973 في" كوبنهاغن" عاصمة الدانمارك وذلك بعد الحضر البترولي خلال حرب 1973، إلا أن المجموعتين العربية والأوروبية كانت لهما أهداف مختلفة فالجانب العربي كان يبحث عن دعم سياسي أوروبي لحل القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني بينما الجانب الأوروبي كان يركز على ضمان التزود المستمر بالنفط وتحقيق أهداف إقتصادية، هذا الإختلاف بين المجموعتين والمتغيرات الدولية والإقليمية التي طرأت مند السبعينات (إتفاقية السلام مع إسرائيل، الثورة الإيرانية، الغزو السوفياتي لأفغانستان ضف إلى ذلك هيمنه الوم أ على منطقة الشرق الأوسط أدى إلى تجميد الحوار ّالأوروبي العربي وإفراغه من محتواه.

ب- التقارب المتوسطي في إطار حركة عدم الإنحياز: وقد طرحت الدول المشاركة في حركة عدم الإنحياز بما فيها الدول المغاربية مجموعة من الأفكار والبرامج الرامية إلى تحويل المتوسط إلى فضاء أمن وتعاون وسلام نخص بالذكر منها:

-غلق القواعد العسكرية الأجنبية في المتوسط

- سحب الترسانة البحرية الأجنبية من المتوسط

- ضبط المبادلات والخطوط العريضة للتعاون والتنمية المشتركة بالمتوسط

وإن لم تتوصل الدول المنخرطة في حركة عدم الإنحياز إلى عقد ندوة دولية لتدارس هذه المسائل متوسطيا، إلاأن فكرة تحويل المتوسط إلى ساحة أمن وتعاون أصبحت هدفا أساسيا للدول المتوسطية غير المنحازة التي توصلت سنة 1987 إلى إعتماد برنامج للنهوض بالتعاون الإقتصادي فيما بينها بالتأكيد على الربط بين الأمن والتعاون في كل من أوروبا جنوب البحر المتوسط، وقد تأكدت هذه المقاربة في قمة عدم الإنحياز المنعقدة فب بلغراد 1989.

ج-**التقارب المتوسطي عبر التفاعل مع ندوة الأمن والتعاون في أوروبا:** ندوة الأمن والتعاون في أوروبا هو إطار آخر تتأكد فيه فكرة المتوسط عبر إنخراط العديد من الدول المتوسطية في هذه الندوة التي إنطلقت في هلسينكي عاصمة فلندا سنة 1971 ، وقد خلصت ندوة هلسينكي في بيانها اختامي سنة 1975، إلى تخصيص باب كامل للمسائل المتصلة بالأمن والتعاون في المتوسط. وقد تحقق ذلك نتيجة مشاركاتها المتواصلة في الإجتماعات المنعقدة في إطار الندوة وتقديمها لوجهات نظرها في كافة القضايا المطروحة صلب تلك الإجتماعات. وفي هذا الإطار لا يمكن التغاضي عن الدور الإيجابي الذي اضطلعت به جل دول جنوب أوروبا في سبيل توسيع الرؤية الأوروبية لمسألة الأمن والتعاون لتشمل المتوسط بحيث شكلت هذه الندوة بدورها إطار ملائما آخر لتشكل رؤية متوسطية أوسع لقضايا هامة مطروحة تتصدرها قضيّتنا الأمن والتعاون.

يضم منتدى الأمن والتعاون في أوروبا الدول الشرق أوسطية ودول حوض المتوسط وكل الدول المطلة على البحر الأسود بما فيها دول الإتحاد السوفياتي سابقا.

هذه المبادرة أجهضت بسبب معارضة الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت ترى في المنتدى محاولة لإبعادها أو على الأقل التقليل من نفودها في البحر المتوسط ، في حين ركزت فرنسا جهودها أكثر على دول غرب البحر الأبيض المتوسط.

د- مجموعة حوار 5+5 : من أجل الخروج من حالة الجمود التي عرفتها العلاقات الأوروبية المتوسطية طرحت فرنسا على لسان رئيسها السابق فرانسوا ميتران Francoi Metterand فكرة عقد إجتماع يضم دول غرب المتوسط وهي فرنسا، إسبانيا، إيطاليا ،البرتغال ومالطا مع دول المغرب العربي، أنعقد الحوار 5+5 خلال الندوة الوزارية بروما في أكتوبر 1990، وقد ناقش المشاركون فيه عدة مسائل سياسية وأمنية وإقتصادية، هذا الحوار لم يحقق الأهداف التي رسمها بالنظر إلى الشلل الذي أصاب إتحاد المغرب العربي بسبب المشاكل السياسية التي عرفتها الجزائر نهاية 1991، والعقوبات الدولية التي فرضت على ليبيا بداية 1992، بحكم إتهامها من طرف الولايات المتحدة الإمريكية وبراطانيا في أحداث لوكربي 1988.

تطور العلاقات الأرومغاربية بعد نهاية الحرب الباردة

نهاية الحرب الباردة شهدت شكلا مغايرا عن تلك التي كانت سائدة قبل ذلك، فالتحولات التي عقبت نهاية الحرب الباردة ولدت لدى الأروبيين شعورا باللأمن، ليس نتاج التهديد العسكري ولكنه ذو طبيعة إقتصادية وإجتماعية، وتحديد طبيعة ونوعية التهديد يكشف عن الحاجة لإيجاد حلول للمشاكل الإقتصادية والإجتماعية التي تواجهها شعوب جنوب المتوسط، حيث أن إزدياد حدة المشاكل وعدم الإستقرار في دول الجنوب سوف ينعكس على الأمن في حوض البحر المتوسط بما فيها الأمن الأوروبي ومن هنا نجد أن الإتحاد الأوروبي لما أراد أن يواجه المخاطر القادمة من الجنوب

تخلى عن سياسة الحوار والتعاون مع الضفة الجنوبية واتجه نحو بناء علاقة شراكة مع الدول المتوسطية المتمثلة في مشروع الشراكة الأرومتوسطية ومشروع الإتحاد من أجل المتوسط.

1-مشروع الشراكة الأورومتوسطية: بدأت معالمه تتضح في بداية التسعينات فمع نهاية الحرب الباردة وسقوط جدار برلين شعرت أوروبا بضرورة إقامة إطار إستراتيجي شامل في

حوض المتوسط ، وفي19 أكتوبر 1994 قدم المجلس الوزاري الأوروبي واللجنة الأوروبية تقريرا للبرلمان الأوروبي أوضح فيه الهدف الرئيسي من السياسة المتوسطية وهو إقامة شراكة أوروبية متوسطية تبدأ بإنشاء متدرج لمنطقة التجارة الحرة وتتطور إلى أن تصل لحد الإرتباط بهدف إقامة منطقة سلام وأمن وإستقرار، وجاء بفكرة عقد مؤتمر أوروبي متوسطي في 1995، للإتفاق حول الإطار السياسي والإقتصادي للعلاقات المستقبلية في حوض المتوسط، عرف هذا الأخير بمؤتمر برشلونة.

2- **الإتحاد من أجل المتوسط:** بهدف هذا المشروع إلى فتح مرحلة جديدة من التعاون في البحر الأبيض المتوسط وإضفاء إنطلاقة جديدة على العملية التي بدأت في برشلونة 1995، والتي لم تحقق الأمال المرجوة منها، والإتحاد من أجل المتوسط فكرة أطلقها الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي، ركزت هذه الفكرة على إنشاء إتحاد إقليمي مقصورا على البلدان المطلة على البحر الأبيض المتوسط أطلق هذا المشروع خلال مؤتمر روما الذي حضره زعماء فرنسا إيطاليا،إسبانيا، في 20ديسمبر 2008، وقد إنطلقت الرؤية الساركوزية لإنشاء هذا التجمع من إعتبارات داخلية وأخرى خارجية.

-الإعتبارات الداخلية : تتمثل في إعادة بناء النظام الفرنسي على أسس أكثر كفاءة وفاعلية وإغلاق الباب أمام الهجرة غير الشرعية القادمة من دول حوض المتوسط .

- فيما يتعلق بالاعتبارات الخارجية: تتمثل في رغبة فرنسا في القيام بدور المهيمن الإقليمي داخل حوض المتوسط باعتبار أن منطقة المتوسط هي منطقة نفود قديمة من جهة ، ومن جهة أخرى استعادة الحضور الفرنسي في منطقة المغرب العربي لمواجهة النفود الإمريكي والصيني ، رغبة فرنسا كذلك في تعزيز موقفها ومكانتها داخل البنية العسكرية لحلف "الناتو".

هناك تحد آخر داخل أوروبا نفسها دفع فرنسا إلى إطلاق مشروع الإتحاد من أجل المتوسط، وهو النفود الألماني المتزايد والمتسع داخل الإتحاد الأوروبي.

هذه هي باختصار أهم المراحل التي مرت بها العلاقات الأرومتوسطية بصفة عامة والأرومغاربية بصفة خاصة بدءا بالحوار العربي الأوروبي حتى الإتحاد من أجل المتوسط، وما يلاحظ من خلال عرضنا لتطور مسار العلاقات الأوروبية المغاربية منذ البداية الأولى، قدرة أوروبية على التحكم فيه، فالسياسة الأوروبية تمكنت من التكيف مع مختلف المتغيرات الدولية ووضع سياسة وفق التكيف القانوني في علاقاتها مع دول جنوب المتوسط بالشكل الذي يضمن لها رعاية مصالحها في المنطقة من خلال وضع الآليات المناسبة كلما أستدعى الوضع ضرورة التغيير.